

الحلقة (٢٨)

موضوع هذه الحلقة تفسير الآية ٢٠٠ من سورة البقرة : قال تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلَاقٍ}

في البداية ذكر المفسرون في **سبب نزول هذه الآية ثلاثة أقوال:**

(١) أن أهل الجاهلية كانوا إذا اجتمعوا بالموسم ذكروا أفعال آبائهم وأيامهم وأنسابهم في الجاهلية، فتفاخروا بذلك، فنزلت هذه الآية، وهذا المعنى مروى عن الحسن وعطاء ومجاهد، والجاهلية والعرب عندهم الفخر بالأنساب والأحساب وهذا معروف، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : (اثنان من أمر الجاهلية في أمتي لا يتركونها الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب).

ومن ضمن المواضع التي كانوا يتفاخرون عندها في الحج، وكما ذكرت سابقاً أن الحج ملتقى القبائل وكانت الحروب بينهم، وفي أيام الحج الشخص يرى قاتل أبيه أو قاتل أخيه ولا يمسه بسوء، كله تعظيم للحرم، وبعد انتهائهم من الحج يتفاخرون: أنا من قبيلة كذا، أو هزمنا تلك القبيلة، إلى غير ذلك من كلام الجاهلية الذي لا يسمن ولا يغني من جوع.

(٢) أن العرب كانوا إذا حدثوا أو تكلموا يقولون وأبيك إنهم لفعلوا كذا وكذا، فنزلت الآية وهذا مروى عن الحسن، يعني أنهم كانوا يسندون الكلام إلى من كان قبلهم، ويحلفون أيضاً بأبائهم، والنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الحلف بالآباء قال: (لا تحلفوا بالآباء ولا بالأنداد ومن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت).

(٣) أنهم كانوا إذا قضوا مناسكهم قام الرجل في منى وقال: اللَّهُمَّ إِن أَبِي كَانَ عَظِيمَ الْجَفْنَةِ -يعني كان القدر أو الصحن الذي يطعم فيه الطعام كبير وواسع بحيث أنه كريم- كثير المال فأعطني مثل ذلك، فلا يذكر الله وإنما يذكر أباه، ويسأل أن يعطى في دنياه، فنزلت هذه الآية الكريمة، وهذا قول السدي وهذا من أفعال الجاهلية.

ومن كتب سبب النزول ومن أوائل من ألف هذا الكتب المطبوعة "أسباب النزول" للإمام الواحدي صاحب "البيسط" و"الوسيط" و"الوجيز" في التفسير، وله كتاب "أسباب النزول" وهو مطبوع ومحقق، حققه السيد أحمد صقر ويقع في مجلد، بعد ذلك جاء لنا كتاب "العجاب في بيان الأسباب" للحافظ ابن حجر وهو ليس بكامل، وبلا شك أنه كتاب مسند ومؤلفه من أئمة الحديث، بعد ذلك كتاب "لباب النقول في أسباب النزول" للحافظ السيوطي وهو صاحب المؤلفات الكثيرة وله أكثر من ٦٠٠ مؤلف، ما بين ١٠ مجلدات ورسائل صغيرة.

قال تعالى {فَإِذَا قُضِيَّتُمْ مِّنَاسِغَكُمُ} {قُضِيْتُمْ} يعني فرغتم وانتهيتم، قوله {مناسككم} يعني المراد العبادات المتعبدات التي فعلتموها، وفي المراد بها قولان:

- **القول الأول:** إقرارهم بهم، يعني تفاخرهم وتعاليمهم واعتمادهم على آبائهم.
- **القول الثاني:** أنه حلفهم بهم، والنبي صلى الله عليه وسلم سمع من يحلف بأبيه، وقال عليه الصلاة والسلام "لا تحلفوا بالآباء ولا بالأنداد من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت"، وقال عليه الصلاة والسلام: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك" وبهذا لا يجوز الحلف بغير الله سبحانه وتعالى، بعض الناس يتساهل في الحلف بغير الله فيقول والنبي أو وحياتي أو وحياتك أو وشرفي أو والكعبة، كله شرك مع الله ولا يجوز، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك).

والعلماء رحمهم الله شراح كتاب التوحيد وغيرهم، ذكروا أن الحلف بغير الله على نوعين:

ويذكرون في هذا المقام أن بعض اللصوص و السراق إذا قبض عليه وقال أنا ما سرقت، مثل إذا قيل له احلف بالله أنك ما سرقت، وهو سارق قام يحلف بالله و الله وهو كاذب، لكن إذا قيل له احلف بالسيد أو الحسين أو البدوي أو النبي توقف ولم يحلف، لأنه يعرف أنه سرق، إذن هو قد عظم هؤلاء أكثر من تعظيمه لله سبحانه وتعالى وهذا هو الشرك الأكبر، المهم أن الذكر هنا فسر أنه الحلف بالآباء.

- **القول الثالث:** أنه ذكر إحسان آبائهم إليهم، فإنهم كانوا يذكرونهم وينسون إحسان الله إليهم، تجد الواحد دائماً فعل أبي وترك أبي، أما فضل الله عز وجل وإحسانه إليه تجده لا يهتم به، والفضل من الله

والمنة لله تعالى قال تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا}.

• **القول الرابع:** بعيد عن مسألة الجاهلية، والآية معناها اذكر الله ذكرا كثيرا كذكر الأطفال لآبائهم في أول نطقهم، وقد روى هذا المعنى عن عطاء والضحاك وهذا قول جميل.

فالذكر غذاء القلوب وغذاء الأرواح، {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}، ولما جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فدلني على عمل، فقال عليه الصلاة والسلام: (لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله عز وجل).

فالمسلم مطالب أن يكثر من ذكر الله وبخاصة في شعيرة الحج، التلبية والتكبير وقراءة القرآن وقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

الإكثار من الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم: (من صلى على صلاة واحدة صلى الله به عليه عشرة) وفي سنن أبي داود أكثر من الصلاة والسلام على ليلة الجمعة ويوم الجمعة قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك وقد أرمت أي بليت فقال عليه السلام: (إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء) اللهم صل وسلم على نبينا وحبيبنا وقدوتنا، اللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم.

أقول مرة أخرى {فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا} {كَذِكْرِكُمْ} والمراد فيها، على أربعة أقوال: أي تفاخركم بآبائكم، أو الحلف بهم، أو ذكر إحسان آبائهم إليهم ونسيان الله جل وعلا الذي له الفضل في الأولى والآخرة عليهم وعلينا، أو المقصود اذكروا الله كذكر الطفل الصغير لأبويه منذ أن يخرج.

كلمة {أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا} كلمة أو للتخيير، فهل معناها هنا للتخيير؟ في معناها قولان:

• **القول الأول:** معناها **بل** وهذا الحقيقة والأقرب، كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا والتقدير: (بل أشد ذكرا).

• **القول الثاني:** بأن أو بمعنى **الواو** أي ذكركم آباءكم وأشد ذكرا، **ولكن القول الأول هو الأقرب**

والله أعلم هي الأقرب فهي بمعنى (بل) بل أشد ذكرا.

{فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا} وهذا يصدق على من كان يدعو الله يريد حظ الدنيا فقط "أعطني اللهم جفنة كبيرة ومالا حتى أكون كريما" هذا {وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ} {مِنْ خَلَاقٍ} أي: من نصيب، هذا سأل الله ما في الدنيا فقط ترك ما في الآخرة وهذا خطأ نعم الإنسان يسأل الله من خيري الدنيا والآخرة، هؤلاء الذين يسألون الله ما في الدنيا قال الله تبارك وتعالى عنهم: {وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ}، فإذا ضاع نصيب العبد في الآخرة ماذا يبقى له؟! إذا لم يكن له حظ عند الله والله إنه لأشقى الناس وهو المحروم حقا.

قال أهل العلم: (ليس المحروم من حرم الزوجة والولد، ليس المحروم من حرم الدينار والدرهم،

المحروم من حرم خير الله جلا وعلا)، {وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ}، أي من نصيب.

هنا تنبيه: في قوله {كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا} { عندما تكلمنا عن "أو" هنا، طالب العلم ينبغي له الإطلاع على علوم القرآن، ومن ضمن العلوم علم حروف المعاني، أو معاني الحروف مثل "إن وأن وبل وأم" هذه كلها لها معاني ولها مدلولات، يجب أن يهتم بها طالب العلم، نجدها مبثوثة في كتب التفسير التي نستقي منها مادتنا العلمية، مثل تفسير الطبري، والتفسير الحافظ ابن حجر، وتفسير القرطبي، وتفسير ابن الجوزي، وهي المراجع في هذه الحلقات، ولكن هناك كتب ألقت في معاني الحروف، وعلى طالب العلم أن لا يستغني عنها.

وأذكرها من باب الفائدة: كتاب: "حروف المعاني" للزجاجي (غير الزجاج)، هذا شخص وذاك شخص آخر، كتاب: "معاني الحروف" للرماني، كتاب: "رصف المباني في بيان حروف المعاني" للمالقي وهو إمام من الأندلس من مالقا وقد حققه د. أحمد محمد الخراط، الذي حقق كتاب "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون"، كتاب: "مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب" لابن هشام النحوي المصري وهو من أئمة النحو، كتاب: "جواهر الأدب في معرفة كلام العرب" للإربدي، وهذه خمسة كتب مهمة جدا، ومن الكتب الحديثة كتاب: "دراسات الأسلوب في القرآن الكريم" وهو مفخرة هذا الزمن لمؤلفه الشيخ محمد عبد الخالق عزيمة، وهو كان أستاذ في جامعة الإمام، وقد مكث في تأليفه ٣٠ سنة، واستحق في سنة من السنوات جائزة الملك فيصل العالمية عليه، فعلى طالب العلم الرجوع إليها.